عرض كتاب:

قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح: المزاعم الصهيونية لنهاية التاريخ

للدكتور القس مكرم نجيب

إعداد: جرجس صبحي

بعض القضايا تختلط فيها الأمور، وتُشوَّش المفاهيم، نتيجة غياب التعريف الدقيق للمصطلحات، أو غياب المعرفة الدقيقة حولها. فتؤدي كل هذه العوامل إلى نوع من الوصم والعداوة، وعدم فهم للآخر، وهو ما يمكن أن يُترجم لاحقًا إلى خطاب كراهية.

واحدة من أهم القضايا التي تنطبق عليها هذه العوامل هي قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي عامةً، وقضية ما يُسمى "الصهيونية المسيحية" خاصةً. ولقد أدى خلطُ المفاهيم في هذه القضية إلى توجيه بعض الاتهامات للمسيحيين العرب بموالاة أو بدعم إسرائيل، استنادًا على تأييد بعض الطوائف المسيحية في الغرب لقيام إسرائيل ودعمها، مؤسسين هذا على تفسيرهم الخاص لبعض النصوص الكتابية.

لهذا، بذل عددٌ من اللاهوتيّين المصريّين جهدًا عظيمًا في إعداد دراسات أكاديمية دقيقة، للمساهمة في توضيح المفاهيم المختلطة بدقة، وشرح المصطلحات –المتداولة عشوائيًّا– شرحًا صحيحًا وافيًا مستندًا إلى قراءة هذه التيارات وتاريخها وعقائدها، والفرق بينها وبين عقائد المسيحيين العرب. وأعرض في هذا المقال نموذجًا لاهوتيًّا مصريًّا وهو الراحل الدكتور القس مكرم نجيب (1974–2019)، راعي الكنيسةِ الإنجيليَّةِ بمصرَ الجديدةِ، وقد كتب عدة مؤلَّفات في هذا المجال، أعرض منها هنا كتابه الأهم "قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح"، والصادر عن دار الثقافة، عام 2002، في 136 صفحة من القطع الوسط.

الدوافع والأسباب ومنهج الدراسة

في مقدمة الكتاب يسرد المؤلف ثلاثة عوامل دفعته إلى الاهتمام بهذا الموضوع:

- أولًا: الخلط في المفاهيم الكتابية واللاهوتية حول موضوع المجيء الثاني للسيد المسيح، وانخراط بعض المذاهب والجماعات في الخلط بين ما هو يهودي وما هو مسيحي، وبين الحقائق الدينية والأحداث السياسية للخروج بحسابات وتواريخ وجداول وخرائط حول أحداث النهاية والمجيء الثاني تشبع الفضول البشري.
- ثانيًا: ما نتج عن هذا الخلط من تشويش، ليس فقط في الساحة الكنسية، بل امتد إلى المجال الوطني والقومي، والموقف من دولة إسرائيل، ومفهوم شعب الله المختار. إضافةً إلى الخلط بين العديد من الفرق والمذاهب في الغرب التي تحمل لافتة "إنجيلية"، والذين يعملون بدوافع إيمانهم على خدمة أغراض صهيونية.
- ثالثًا: تداعيات أحداث 11 سبتمبر 2001، وهي السنة السابقة لإصدار الكتاب وما أحدثته حينها من آثار سياسية وأيديولوجية وإثارتها لعدد من القضايا الشائكة في المنطقة.

يقدم الكاتب أفكاره في بحث أكاديمي دقيق، مقسَّم على سبعة فصول، يتناول فيها دراسة المفهوم الإسخاتولوجي، والتركيز على حقيقة تدرج الإعلان الإلهي، ثم مبادئ تفسير النصوص الكتابية.

■ الفصل الأول: نهاية التاريخ والمجيء الثاني

في هذا الفصل، يعرض الكاتب نظريات نهاية التاريخ، لافتًا إلى أن الأحداث العظمى التي تحدث في العالم تدفع بعض التيارات الدينية للتحدث عن نهاية التاريخ ومجيء المسيح، إلى جانب الباحثين الآخرين في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، أمثال فرنسيس فوكوياما، ودانيال بِل، وصموئيل هانتجتون، والذين تناولت أبحاثهم ومقالاتهم أفكارًا عدة حول مصير البشرية بناءً على التغيرات السياسية والاجتماعية.

ثم يعرض الكاتب بالتفصيل الشيع الدينية اليمينية المتطرفة؛ ولافتًا إلى بعض هذه التيارات في أمريكا والتي استندت إلى حرب الخليج 1990– 1991 برهانًا لتأييد نظرياتها حول نهاية

العالم، وارتفاع حرارة الحديث عن مجيء المسيح الثاني مع امتلاك إسرائيل للسلاح النووي. ثم يخصص الكاتب جزءًا في هذا الفصل لعرض أهم هذه التيارات في الفرق والمذاهب الإنجيلية، ومن أبرز ما ورد في الكتاب "المدرسة الدهرية Dispensational school".

ثم يدعو الكاتب في هذا الفصل إلى خطورة التعميم بين هذه المذاهب المتطرفة؛ خاصة في الشرق الذي يصفها كلها بأنها "إنجيلية"، أو "بروتستانتية"، غير مميز بين هذه المذاهب وبين الكنيسة الإنجيلية المشيخية في الغرب والشرق والتي تختلف تمامًا مع هذه الأفكار والمزاعم.

■ الفصل الثاني: المفهوم الإسخاتولوجي ومبادئ تفسير النصوص

في البداية يشرح الكاتب معنى كلمة إسخاتولوجي، والتي تعني بصفة عامة النبوات والأحداث المتعلقة بمجيء المسيا، وعمله وتحقيق ملكوت الله سواء في الحاضر أو المستقبل، وتعني بصفة خاصة الأمور المستقبلية المختصة بالأحداث الأخيرة. ويلفت في هذا الفصل إلى اتجاهين في هذا المجال:

الاتجاه الأول: يرى أن وحي الكتاب المقدس أو الإعلان الإلهي يقود إلى خلاصة أن كل الكتاب مساوٍ في القيمة اللاهوتية، وأن نبواته العديدة مثل قطع الموزايك تكمل بعضها الآخر، ومن أمثلة المنادين بهذا الاتجاه التدبيريون أصحاب نظرية "سابقي الألف Pre-Millennialism".

الاتجاه الثاني: يفسر النبوات والنصوص الكتابية عامةً في ضوء الإدراك الواعي للطبيعة المتدرجة المتصاعدة للإعلان الإلهي في الكتاب، مرتبطةً بعنصر الوقت أ الزمن، ويستند هذا الاتجاه إلى مبادئ التفسير المعروفة للنصوص الكتابية، والتي تسمى "القراءة اللغوية والتاريخية Grammatical- Historical Reading".

ويضع الكاتب في هذا الفصل سبعة مبادئ تفسيرية مهمة:

1. عدم تفسير النص الكتابي أو بناء عقيدة في ضوء الأحداث السياسية المتقلبة والمتغيرة.

2. تفسير العهد القديم في نور العهد الجديد وفي نور شخص السيد المسيح وعمله الفدائي.
3. عدم تفسير النصوص الواضحة بالنصوص الغامضة، بل أن يتم العكس.
4. عدم بناء عقيدة على اقتطاع كلمة أو عبارة من النص أو أخذ بعض النصوص المتناثرة.
5. مراعاة الترتيب التصاعدي للإعلان الإلهي المتدرج الذي وصل إلى ذروته في المسيح.
6. تفسير النصوص الرؤيوية في إطار القواعد المعمول بها في التعامل مع الطبيعة الخاصة لهذه النصوص.
7. الدراسة الجيدة لطبيعة النبوات أو النصوص النبوية في الكتاب المقدس عامةً؛ مثل رسالة النبوة وسياقها، ومداها، وأسلوبها.

■ **الفصل الثالث: تطور المفهوم الإسخاتولوجي**

يهتم الكاتب في هذا الفصل بالتفريق بين مصطلحي "ملكوت الله" و"شعب الله" عارضًا لهما في إطار طبيعة تدرج الإعلان الإلهي التي أكد عليها في الفصلين السابقين. وهذا العرض جاء كتمهيد للإجابة عن سؤال: ما الموقف من إسرائيل الحديثة؟ ويخلُص في هذا إلى أن لا علاقة من قريب أو بعيد بين دولة إسرائيل الحديثة وحقيقة شعب الله في نبوات العهد القديم. وعارضًا أيضًا لجهود الكنيسة الإنجيلية المشيخية مع الكنائس المسيحية الأخرى في الشرق والغرب في توضيح الفكر الكتابي واللاهوتي الصحيح، من خلال مؤتمرات وندوات محلية ودولية ودراسات لاهوتية لنفس الهدف.

■ **الفصل الرابع: مصطلحات المجيء**

تعَدُّ المصطلحات إحدى القضايا المحورية في هذا الكتاب، إذ يهتم الكاتب اهتمامًا كبيرًا بتعريف المصطلحات وتوضيح الفروق بينها، ويعرض هنا لمجموعة من المصطلحات التي استُخدمت لدعم أيديولوجيات صهيونية مقتطعةً بهذا من سياقها الصحيح:

1. يوم الرب Day of the Lord
2. حضور Parousia
3. استعلان Apokalypsis
4. ظهور Epiphaneia
5. ماران أثا Maran Atha

ورغم ما يبدو من تقارب وتشابه بين هذه المصطلحات إلا أن الكاتب يعرض التعريفات بدراسة دقيقة لمدلولاتها الكتابية وسياقاتها السليمة، موضحًا الفرق بين كلٍّ منها.

■ الفصل الخامس: نظريات مختلفة

يدرس الكاتب هنا ثلاث نظريات مختلفة في تفسير المجيء الثاني للمسيح وأحداث النهاية. وتحت كل نظرية يعرض الطوائف أو المذاهب التي تعتنق هذه النظرية، ويوضح أفكار كل نظرية بمجموعة مهمة من الرسومات التوضيحية لتقريب الفكرة للقارئ.

1. النظرية الأولى: لاحقو الألف Post Millennialism
2. النظرية الثانية: سابقو الألف Pre- Millennialism
3. النظرية الثالثة: ضد الألف A Millennialism

■ الفصل السادس: الرأي الإنجيلي المشيخي

يمكن اعتبار هذا الكتاب جامعًا لما تقدم من فصول وضحت تدريجيًّا موقف الكنيسة الإنجيلية المشيخية من قضية المجيء الثاني، وقضايا التيارات التي تدعم الأفكار الصهيونية، وكذلك الموقف من دولة إسرائيل الحديثة. ويختتم الفصل بثلاثة تحذيرات مهمة في التعامل مع قضية المجيء الثاني:

1. المجيء الثاني عنصر مهم من عناصر إيماننا المسيحي ومن الخبرة المسيحية لأنه ضمن عمل المسيح ورسالته.

2. ضرورة التفريق بين الازدياد في فهم كلمة الله، لنعرف بعمق من نحن وما ننادي به وما ينادي به الآخرون، وبين أن تتأثر محبتنا أو احترامنا للمختلفين معنا في الفكر.
3. التمييز بين المحبة وروح الانفتاح المسكوني على الجميع وبين الانتماء الراسخ الذي يظهر في مجالات عديدة من أهمها وحدة التعليم ووحدانية الإيمان.

■ الفصل السابع: أنوار الرجاء

طالما أن الإسخاتولوجي عنصرًا رئيسًا في مناقشة قضية الكتاب، فالإسخاتولوجي يشتمل على الرجاء كمفهوم رئيس ومحور أساس في معانيه، لهذا رأى الكاتب، الدكتور القس مكرم نجيب، ضرورة ملحة لمناقشة أنوار الرجاء المسيحي، وتأمل عمله الخلاق في حياتنا، وقسم هذا التأمل إلى 6 أفكار:

1. المعنى
2. الأساس
3. الاتجاه
4. الصور
5. الكيفية
6. العلامة

وفي تعريف الرجاء المسيحي تجاه الإسخاتولوجي، توضيح مهم لموقف الكنيسة الإنجيلية المشيخية وإيمانها إزاء المجيء الثاني للمسيح، وبالتالي، إزاء كل القضايا المتعلقة بها، محل الخلاف، ومنها الموقف تجاه دولة إسرائيل الحديثة.